الـمُهاجِر إلى بلاد الهِنْد

الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ

١٠١٤–١٠٩١هـ

إبراهيم عليّ السّفسيف

الـمُهاجِر إلى بلاد الهنْد

الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ

١٠١٤ –١٠٩١هـ

إبراهيم عليّ السّفسيف

١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

الاستفادة من هذا المخطوط متاحة بأيّة صورة.

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ

اللهم صلِّ على فاطمةَ وأبيها وبعلِها وبنيها

بعدد ما أحصاهُ كتابُك وأحاطَ به علمُك.

الإهداء

إلى البدور السّواطع :

العباس

وعبدالله

وجعفر

وعثمان(عليهم السلام).

المحتويات

- الإهداء ٥
- المحتويات ٦
- المقدمة ٨
- نسبه ١١
- ولادته ١٢
- بلدته ١٢
- ملامح عصره ١٢
- مراحل حياته ١٤
- رئاسته العلميّة ٢٠
- حياته الشخصيّة ٢٢
- اتّجاهه العلميّ ٢٢
- وفاته ٢٣
- شيوخه ٢٤

– تلامذته ٢٦
– آثاره العلميّة ٢٧
– الثناء عليه ٢٩
– شعره ٣٠
– سِمات شخصيّته ٣٢
– ما قِيل في مدحه ٣٤
– المصادر والمراجع ٣٧

المقدِّمة

جاءت هذه الأوراق كأحد أجزاء دراسة عن تراث "المدرسة العلمية" بإقليم البحرين القديم، والتي امتدّت من القرن السابع الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر. وتحديدًا حول منظومة "الكامل في الصناعة" للشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني، المتوفى بحيدر آباد سنة ١٠٩١هـ. هذا العلَم الفقيه العلّامة الرباني، وأحد أكابر الإمامية، وأساطين الملّة والدين، كما وصّفه مترجموه.

وبعد بحث في المصادر والمراجع المتوافرة بين يدي حول شخصه وشخصيّته، وجدتُ، في المعلومات المستجمعة عنه، إضافاتٍ خارجة عن حاجة تلك الدراسة. وفي ذات الوقت، من الاجحاف بحقّه تركها دون تدوين. لذا كان من المناسب إخراجها في أوراق مستقلّة عنها.

ثمّ خطر بالبال، بدل أن تكون الأوراق على شكل سيرة زمنية مرحلية، أن تكون سيرة تظهيرية لأبعاد رؤيته المعرفية، في مدياتها الدينية والعلمية والدنيوية. لكن الوقت لا يسعف، والمؤنة يسيرة، والفكر حسير.

ولّما كانت المعلومات المتوافرة عن الشيخ البحراني المهاجر إلى بلاد الهند، بالرغم من شهرته، قليلة جدًا ومتناثرة بين حلقاتها المتقطّعة، فقد حاولت إعادة تركيبها عبر الربط التحليلي بين ما كُتب عنه من جانب، وبين سِير الأعلام والعلماء الذين عاصروه، ومجريات الأحداث في زمانه من جانب آخر.

لقد تدعّم يقيني، بعد هذه الرحلة القصيرة والشيّقة، بأن مدادًا كثيرًا يمكن أن يُسطَّر عن هذه المدرسة العلمية: تاريخها وأثرها، أعلامها وشخوصها، مناهجها واتجاهاتها، كتبها ومخطوطاتها... لا من أجل التمجيد والافتخار فقط، بل في سبيل استجلاء الحقيقة، ومراكمة المعرفة، وبصيرة الاعتبار.

دمستان – مملكة البحرين

الأربعاء: ٣/ربيع الأول/١٤٤٢هـ

٢١/أكتوبر/٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على الرسول الكريم محمّد وآل بيته الطاهرين

الشيخ جعفر بن كمال الدين من أكابر الإمامية، وأحد أعلام المدرسة العلمية البحرانية القديمة، ومن القلائل الذين برعوا في غير ميدان من ميادين العلم والمعرفة. فكان فقيهَا ومُحدِّثًا ومُقرئا ومفسِّرًا ورجاليًا ونحويًا وعروضيًا وشاعرًا. ولهذا، حاز الرئاسة العلمية في مهجره بسلطنة كلكندة ببلاد الهند.

نسبه

أثبت الشيخ جعفر بن كمال الدين نسبه في منظومته، بأنه: الشيخ جعفر بن كمال الدين محمّد بن سعيد بن ناصر بن جعفر بن عليّ بن عبدالله بن سليمان بن عيسى البحراني الأوالي[1].

[1] الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني: الكامل في الصناعة، هامش الورقة١.

وجدّه الشيخ عيسى البحراني الأوالي كان حاكم جزيرة "السلاق"، وهي جزيرة تقع بين جزيرة سماهيج(المحرّق حاليًا) وجزيرة ابن المتوّج(النبيه صالح حاليًا) غطّاها الماء[1].

وبعض أفراد أسرته من علماء الدين كأبيه وجده الشيخ عيسى حاكم "السلاق".

ولادته

كانت ولادته سنة ١٠١٤هـ، كما ذكر ذلك بنفسه[2]. ولكنه لم يحدّد مكان ولادته. والأظهر أنها في جزيرة أوال.

بلدته

يُنسب الشيخ جعفر بن كمال الدين إلى قرية (الرويس)، وهي إحدى قرى البحرين المندثرة[3]، والتي كانت مأهولة بالسكان قبل ٤٠٠ سنة، وتقع قرب قرية مقابة الحالية[4].

---

[1] انظر: جزيرة بحرينية تُدعى السلاق اندثرت منذ ٣٠٠ سنة: صحيفة الوسط، ع(٤٧٧٠).

[2] الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني: الكامل في الصناعة، هامش الورقة١.

[3] عن القرى المندثرة، انظر: يوسف مدن: قرى البحرين الثلاثمائة والستون.. بين الحقيقة والوهم.

[4] انظر: اكتشاف قرية الرويس البحرينية التي تعود لأكثر من ٤٠٠ عام، صحيفة الوسط: ع(٤٢٧٦).

ملامح عصره

عاش الشيخ جعفر بن كمال الدين في ثلاث مناطق مختلفة، تتلاقى في وحدة المذهب، وتتمايز في ملامحها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. سنحاول الوقوف على موجز شديد التكثيف منها.

فجزيرة أوال وما يحيطها من جزر، كانت لتوّها تتعرّف الهدوء السياسي الذي سيستمرّ على امتداد القرن الحادي عشر. فبعد انتزاع الدولة الصفوية بقيادة الشاه عباس الكبير(حكم: ٩٩٥–١٠٣٨هـ) هذه الجزر من يد البرتغاليين سنة ١٠١١هـ، استقرّت الأوضاع بعد صراع واضطراب كبيرين مع سياسات البرتغاليين الظالمة. وكان من أمر الدولة الصفوية أنها لم تحكم الجزر مباشرة، بل اكتفت بإيكال تدبير شؤنها إلى حاكم سياسي محلّي معيّن من قبلها[١]. وهذا ما استتبع استقرارًا اجتماعيًا متقطّعًا؛ نتيجة تنافس الأعيان والوجهاء في بعض

[١] ربّما هذا ما قاد د.فؤاد إبراهيم إلى استنتاج أنه: "لم يُقدّر للنشاط الفقهي في البحرين أن يعيش تجربته الخاصّة، وجاءت السيطرة الصفويّة على البحرين واستنبات الحكام الجدد مؤسّسة دينية متفرّعة وتابعة للمؤسّسة الصفوية(...) لتفضي إلى تماهي فقهاء البحرين مع الحركة الفقهية الجديدة[الأخبارية] في إيران(...) حتى بتنا نجد من فقهاء المدرسة الأخبارية في البحرين مَن تولّى مناصب رفيعة في المؤسّسة الدينية الصفوية الإيرانية".(؟؟) د.فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة.. الفكر السياسي الشيعي، ص١٦٩.

الفترات. أمّا اقتصاديًا، فتقلّب بين مدّ الغنى وجزر الفقر، تبعًا لِما تنتجه الأرض من ثمار مزروعاتها وما يعطيه البحر من خيرات أحيائها.

وبلاد فارس، كانت تعاصر بداية الانحدار للدولة الصفوية(٩٠٧–١١٣٥هـ)، بموت قائد عصرها الذهبي الشاه عباس الكبير سنة ١٠٣٨هـ. حيث أخذت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية تتّجه نحو التأزّم والارتباك والتدهور، ما أفضى بها إلى الانهيار في نهاية الأمر.

وسلطنة كلكندة الشيعية(٩١٨–١٠٩٨هـ) المتأسّسة على أنقاض الدولة البهمنية الشيعية(٧٤٨–٩٣٢هـ) التي حكمت معظم مناطق هضبة الدكن ببلاد الهند، كانت تشهد نهضة أدبية في عموم بلاد الهند جعلها قبلة العلماء والشعراء، نهضةً ناشئة عمّا تنعم به من استقرار سياسي ورخاء اقتصادي واجتماعي، جلبه لها ما تتوافر عليه من ماس وذهب ولآلئ.

مراحل حياته

يمكن الوقوف على ثلاث مراحل رئيسة في مسيرة حياة الشيخ جعفر بن كمال الدين، وهي على النحو الآتي:

-المرحلة الأولى: (بين: ١٠١٤-١٠٤٥هـ تقريبًا)

نشأ في جزيرة أوال وترعرع في كنف والده، وتعلّم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة ومقدّمات علوم العربية والدين الإسلامي، وبدأ مسيرة طلب العلم مبكرًا.

وإنْ لم تُذكَر المصادر أسماء مدارس العلم التي ارتادها، فمن المنطقي أنه درس في إحداها؛ لانتشار المدارس العلمية في ربوع جزيرة أوال، فهي مدينة العلم في إقليم البحرين القديم. هذا بالإضافة إلى ما رُوي عن اختلافه إلى مجالس العلماء ومدارسهم مع حداثة سنّه. وهو ما يُستشفّ من حادثة مسجد السدرة[1].

[1] روى السيّد عليّ خان المدني(ت: ١١٢٠هـ) عن شيخه، قال:
"كنت يومًا جالسًا في مسجد السدرة، أحد مساجد القرية المعمورة المسمّاة بجدحفص إحدى قرى البحرين، وهو مدرسة العلم ومجمع أُولي الفضل والحلم، وكان عميد البلاد وكبيرها وقاضيها القائم به تدبيرها، السيّد حسين بن عبدالرؤوف(ت: القرن ١١هـ) جالسًا في ذلك المسجد، وإلى جانبه السيّد ناصر المذكور[السيّدَ ناصر بن سليمان القاروني(ت: ١٠٢٨هـ)]، وأحد المدرِّسين يُقرئ كتاب القواعد المشهور، فجاء ابن أخ السيّد حسين المشار إليه نافخًا بكمّه، وزحزح السيّد ناصر عن مكانه وجلس بجنب عمّه، فغضب السيّد ناصر وعتب، وتناول القلم مسرعًا وكتب: لا تعجبنّ من تقدّم ذي البنان الخاضِب على ذي البيان الخاطِب، وذي الطرْف المفتون على ذي الظرْف والفنون، وذي الجسم الناصِل على ذي الجسم الفاضِل، وذي الطُّول على ذي الطَّول، فإن الزمان طبع على هذه الشيمة منذ كان من المشيمة. وكتب ناصر بن سليمان البحراني، ورمى بالبطاقة وقام، وأقام على المعنى من بلاء ما أقام". السيّد عليّ المدني: سلافة العصر في محاسن أهل العصر، ج٢، ص٨٣٠.

ومن الممكن أنه درس في مدرسة القدم العلمية –حال وجوده في جزيرة أوال عند تأسيسها–؛ لكون شيخه، الشيخ عليّ بن سليمان القدمي(ت:١٠٦٤هـ)، هو مؤسّس هذه المدرسة[١].

وفي هذه المرحلة أيضًا، قصد البيت الحرام في مكّة المكرّمة، وهنالك قرأ فيها على بعض علماء المذاهب الأخرى.

–المرحلة الثانية: (بين: ١٠٤٥–١٠٦٨هـ تقريبًا)

هاجر البحرين إلى شيراز في بلاد فارس. وعن سبب هذه الهجرة أخبر المحدِّث الشيخ يوسف البحراني(ت:١١٨٦هـ) عن والده: "إن هذين الشيخين[الشيخ جعفر والشيخ صالح بن عبدالكريم الكرزكاني(ت:١٠٩٨هـ)] خرجا من البحرين لضيق المعيشة إلى بلاد شيراز وبقيا فيها برهة من الزمان، وكانت مملوءة بالفضلاء الأعيان"[٢].

أمّا عن علّة الهجرة إلى شيراز حصرًا؛ فلأن جزيرة أوال وما حولها من جزر واقعة تحت نفوذ الدولة الصفوية المعتمدة للتشيّع مذهبًا رسميًا للدولة، هذا أولًا.

[١] عن مدرسة القدم، انظر: الشيخ محمد آل مكباس: المدارس العلمية في البحرين، ج٢، ص١٩٦–٢١٣.

[٢] الشيخ يوسف البحراني: لؤلؤة البحرين في الإجازات لقرتي العين، ص٦٦.

وثانيًا: لأن شيراز مقصد العلماء، والبحرانيون خصوصًا؛ فهي "دار علم الحديث" بعد الدور الكبير الذي بذله السيّد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني(ت:١٠٢٨هـ) لنشر حديث أهل البيت(ع) فيها طوال عشرين عامًا[١].

ونقل المحدِّث الميرزا النوري(ت:١٣٢٠هـ) توصيف معاصريه لأحواله فيها، بالقول: "انتقل وهو في ريعان شبابه وقبل بلوغ نصابه، إلى بلاد فارس... وتوطّن فيها بشيراز صِينت عن الإعواز، واشتغل على علمائها بالتحصيل، وتهذيب النفس بالمعارف والتكميل، حتى فاق أترابه وأقرانه، فرقى في المكارم ذُراها، وبرع في الأصول والفروع فتمسّك من المحامد بأوثق عُراها"[٢].

بعد اكتمال تحصيله وتكوينه المعرفي، ساهم من جانبه فيها بنشر العلوم والتدريس والتأليف. فقرأ عليه فيها جملة من العلماء الأعلام وأجازهم. قال الميرزا عبدالله أفندي الأصبهاني(ت:١١٣٠هـ): "رأيت بعض الإجازات بخطّه(رحمه الله) لبعض تلامذته في سنة ١٠٦٧هـ"[٣].

---

[١] انظر: السيّد علي بن باقر الموسى: السيّد ماجد البحراني.. السيرة والمسيرة، مجلة لؤلؤة البحرين، ع(٢)، ص٩-٣٩.

[٢] الميرزا حسين النوري: خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٧٢.

[٣] عبدالله أفندي الأصبهاني: رياض العلماء وحياض الفضلاء، ج١، ص١٠٩.

-المرحلة الثالثة: (بين: ١٠٦٨-١٠٩١هـ)

هاجر شيراز إلى سلطنة كلكندة ببلاد الهند، على عهد السلطان عبدالله قطب شاه(حكم: ١٠٣٥-١٠٨٣هـ). وسبب الهجرة هذه المرّة كالهجرة السابقة، هو "ضيق العيش".

وهو سبب وجيه، لكن من الصعب الاكتفاء به في الهجرتين. فطبيعة الحياة تؤكّد تعدّد أسباب حدوث الأشياء، غير أن أحدها يغلب على البقية.

فطلب المعرفة حاضر كذلك في الهجرة الأولى، والبحث عن حياة أخرى والسعي لخدمة الدين وترويج المذهب، حاضران بقوة في الهجرة الثانية.

وبكل حال، فقد "اتفقا[الشيخ جعفر والشيخ صالح] على أن يمضي أحدهما إلى الهند ويقيم الآخر في بلاد العجم، فأيهما أثرى أولًا أعان الآخر. فسار الشيخ جعفر إلى بلاد الهند واستوطن حيدر آباد وبقي الشيخ صالح في شيراز"[١].

أمّا عن علّة الهجرة إلى هذه السلطنة؛ فلأنها ارتبطت مع الدولة الصفوية بمصالح مشتركة، وعلاقات اقتصادية وسياسية ودينية. كما عملت -هذه

[١] الشيخ يوسف البحراني: لؤلؤة البحرين في الإجازات لقرتي العين، ص٦٦-٦٧.

السلطنة– على تسخير كل إمكانياتها في سبيل نشر التشيّع، عبر استقطاب العلماء من العراق وإيران والبحرين وبلاد الشام. وأولى حكامها العلم والعلماء اهتمامًا بالغًا ورعاية خاصة، فكانت مجالسهم تضمّ الفقهاء والعلماء والشعراء[1].

وعلى وجه مؤكّد، يكون وصوله إلى بلاد الهند في النصف الثاني من العقد السادس للقرن الحادي عشر؛ فقد كان في شيراز سنة ١٠٦٥هـ لِما حكاه السيّد نعمة الله الجزائري(ت:١١٢هـ) حينما سأل شيخه[2] عن استكتاب تفسير "نور الثقلين"–فرغ المصنِّف الشيخ عبدعلي الحويزي(ت:١١١٢هـ) من أجزائه الثلاثة بين ١٠٦٥ و١٠٦٦هـ والرابع ١٠٧٢هـ–، وللإجازات التي كتبها بيده لتلاميذه سنة ١٠٦٧هـ، على ما ذكره عبدالله أفندي الأصفهاني في رياضه.

وفي المقابل، من الثابت أنه كان موجودًا في سلطنة كلكندة قبل سنة ١٠٦٩هـ، وهي السنة التي انتهى فيها من نظم منظومته "الكامل في الصناعة"[3]، بطلب من تلميذه السيّد عليّ خان المدني.

---

[1] محمّد طاهر الصفار: سلطنة كلكندة الشيعية، سِفر أضاء في سماء الهند، على الإنترنت: https://annabaa.org/arabic/historic/9305.

[2] الشيخ يوسف البحراني: الكشكول، ج٢، ص٨٧٩.

[3] السيّد أحمد الحسيني: التراث العربي المخطوط في مكتبات إيران العامّة، ج١٠، ص٢٢١.

رئاسته العلميّة

في بلاد الهند انضمّ الشيخ جعفر بن كمال الدين إلى العلماء والحكماء والشعراء المحتفّين بالأمير نظام الدين السيّد أحمد بن محمد معصوم(ت:١٠٨٦هـ)، والد السيّد عليّ خان المدني.

والسيّد أحمد هذا، وصل عاصمة السلطنة حيدر آباد من مكّة المكرّمة باستدعاء من السلطان عبدالله قطب شاه سنة ١٠٥٤هـ. فزوّجه ابنته، وسمّاه بالأمير نظام الدين، وعيّنه نائبًا للسطان، وأوكل إليه إدارة أمور السلطنة[١].

بدوره –فيما يبدو– أسند السيّد أحمد إلى الشيخ جعفر منصب الرئاسة العلمية فيها. على أن اختياره لهذا المنصب لم يكن ليتمّ لولا جدارته العلمية والأخلاقية وحسن تدبيراته العملية.

ومنصب الرئاسة العلمية هو أعلى سلطة دينية في السلطنة، ومماثل لـ"شيخ الإسلام" في الدولة الصفوية، ويختصّ بالإشراف على الفتوى والقضاء والأمور الحسبية وتمويل المدارس ونشر العلم والمذهب. "فصار[الشيخ جعفر] فيها رئيس

[١] انظر مقدمة التحقيق في: السيّد عليّ خان المدني: الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية الشيعة، ج١، ص١٩–٢٠.

الفضلاء، وملجأ الأعاظم والأمراء، فجمع الله له شمل الدين والدنيا، وشيّد أركانهما وشاد"[1].

ولم تتبيّن السنة التي أُسندت إليه فيها الرئاسة العلمية في السلطنة، لكن من المحتمل أنه حدث في العقد السابع من القرن الحادي عشر؛ على افتراض أن هذا المنصب يتطلّب معرفة دقيقة بنظم السلطنة وأركانها وسياساتها في الجوانب المختلفة. كما يُشترط في شاغله اكتساب ثقة نائب السلطان؛ فهو منصب ذو حساسية خاصّة في التركيب الإداري للسلطنة. وهذا ما يتطلّب وقتًا كافيًا لإدراك جوانبه، والتمرّس على أداء مهامّه.

كما لم تتبيّن المدّة التي بقي فيها في هذا المنصب، فالسنوات الأخيرة من حياته عرفت حدثًا مهمًّا، وهو أن الوزير أبو الحسن تانا شاه(حكم:١٠٨٣-١٠٩٨هـ) تغلّب على السلطان عبدالله قطب شاه واستولى على الحكم في السلطنة سنة ١٠٨٣هـ. وأقام الأمير نظام الدين السيّد أحمد وولده السيّد عليّ خان المدني في الإقامة الجبرية. فتوفي الأب، وهرب الابن ملتحقًا بالسلطان المغولي أورنك زيب شاه(ت:١١١٨هـ).

---

[1] الميرزا حسين النوري: خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٧٢.

حياته الشخصيّة

لم تأتِ المصادر على حياة الشيخ جعفر بن كمال الدين الشخصية وأحواله الأسرية، يوم كان في البحرين أو شيراز أو الهند. وهذا لا يعني بالضرورة أنه لم يكوّن أسرة في حياته؛ فالعادة جرت تاريخيًا أن يتركّز الاهتمام بالشخصيات المهمة حول جوانب دون أخرى، أو أن تطغى شخصياتهم على المحيطين بهم.

اتّجاهه العلميّ

لا خلاف في أن الشيخ جعفر بن كمال الدين ينتمي في توجهه العلمي إلى الاتجاه الأخباري، حتى لقّبه تلامذته بـ"المحدِّث"؛ فقد درس عند شيخ الأخبارية في أوال، الشيخ عليّ بن سليمان القدمي البحراني(ت:١٠٦٤هـ) الملقّب بـ"أمّ الحديث"، لدوره في تدعيم حركة نشر علم الحديث في البحرين.

وانتماؤه هذا اتخذ طابعًا عمليًا عند بروز شخصيته العلمية في شيراز، فقرأ عليه جمع من العلماء والمتعلمين المصادر الحديثية الأولى. وكان له اهتمام كبير بنشر الحديث ومقابلة كتبه وتصحيحها[1].

[1] السيّد أحمد الحسيني: تراجم الرجال، ج١، ص٢٠٤.

لكن اتّجاهه الأخباري هذا لم يدخله في صراعات مع الاتجاه الأصولي في مسقط رأسه أوال أو غيرها. فلم يظهر من شذرات سيرته المسطورة ما يشير إلى ذلك، مع أن بعض تلامذته من الاتّجاه الآخر.

وربّما يُعزى هذا إلى خط الاعتدال والتسامح الذي ورثه عن علماء البحرين لمّا حصروا الخلاف في كونه خلافًا علميًا، ولا يستدعى الصراع والشقاق[1].

وفاته

توفي الشيخ جعفر بن كمال الدين في حيدر آباد ودُفن فيها سنة ١٠٨٨هـ برواية صاحب اللؤلؤة، وقِيل سنة ١٠٩١هـ برواية النوري الطبرسي. ورجّح الدكتور سالم النويدري الرواية الثانية؛ "لأنه يظهر من كلام (النوري) المذكور أنه أكثر اطّلاعًا على أحوال المترجَم من (صاحب اللؤلؤة)"[2]. فيكون عمره حين وفاته ٧٧ سنة تقريبًا.

وعن أحد معاصريه أنه قال: "ثُلم ثلمة في الدين بموت الشيخ الجليل والمولى النبيل، الذين زاد في الدين رفعة، فشاد دروس العلم بعد دُروسها، وأحيا موات

[1] د.عيسى الوداعي: الحركة العلمية في البحرين، ص٧٩.

[2] د.سالم النويدري: أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرنًا، ج١، ص١٧٧.

العلم منه بهمّة يلوح على الإسلام نور شموسها، في تألّه وتنسّك، وتعلّق بالتقدّس والتمسّك، وعفّة وزهادة وصلاح وطّد به مهاده، وعمل زاد به علمه، ووقار حلّى به حلمه، وسخاء يُخجل به البحار، وخُلق يزهو على نسائم الأسحار. باهت به أعيان الأكابر، وفاهت بفضله ألسن الأفاخر، العالم العامل الشيخ جعفر..."[1].

شيوخه

الشيوخ الذين قرأ عليهم الشيخ جعفر بن كمال الدين وروى عنهم، هم:

١. والده الشيخ كمال الدين محمّد بن سعيد البحراني(ت:القرن١١هـ)، أخذ عنه قراءة القرآن الكريم ومبادئ العلوم.

٢. عليّ بن نصر الله الليثي الجزائري(حيًا:١٠٣٩هـ)، كان فاضلًا فقيهًا، ولي القضاء في البحرين مدّة ثمّ عزل، وأخذ عنه جماعة من كبار الفقهاء[2].

---

[1] الميرزا حسين النوري: خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٧٢.

[2] الشيخ جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، ج١١، ص٢٠٨.

٣. الشيخ جمال الدين حسن بن عليّ بن رمضان الكراني(ت:القرن١١هـ)، قرأ عليه التجويد سنة ١٠٣٤هـ، وقال عنه: كان أورع أهل زمانه، وأقربهم من التقرّب إلى الله تعالى بالطاعات في الآنات والساعات، وكان وحيدًا في التجويد والعلم والورع بلا خلاف[١].

٤. الشيخ عليّ بن سليمان القدمي البحراني(ت:١٠٦٤هـ)، ناشر علم الحديث في البحرين.

٥. الشيخ سديد الدين يوسف بن محمّد البلقيني المصري المكّي(ت:١٠٤٥هـ)، قرأ عليه القراءات القرآنية والتجويد في الرباط الداوودية المتّصل بالحرم المكّي الشريف سنة ١٠٤٣هـ[٢].

٦. الفاضل الحاج محمد رضا السبزواري(ت:١٠٥٥هـ)، كان حافظ الروضة الرضوية، وقد أجازه في القراءة[٣].

---

[١] الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني: الكامل في الصناعة، هامش الورقة٢.

[٢] السابق.

[٣] الشيخ جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، ج١، ص٢٠٤.

٧. السيّد نور الدين بن عليّ العاملي(ت: ١٠٦١هـ)[١]، كان فقيهًا جليل القدر والمكانة.

٨. حسام الدين محمود بن درويش عليّ الحلّي النجفي(ت: القرن١١هـ)[٢].

تلامذته

تتلمذ على الشيخ جعفر بن كمال الدين جماعة، قرأوا عليه ورووا عنه، ومنهم:

١. السيّد نعمة اللّه بن محمّد بن عبداللّه الموسوي الجزائري(ت: ١١١٢هـ)، تتلمذ عليه في شيراز، وقد صف شيخه "بالأستاذ المحدِّث".

٢. السيّد عليّ خان بن أحمد بن محمّد معصوم المدني(ت: ١١٢٠هـ)، تتلمذ عليه في حيدر آباد وأثنى عليه كثيرًا، له إجازة منه في القراءة.

٣. الشيخ سليمان بن عليّ بن سليمان بن أبي ظبية الشاخوري (ت: ١١٠١هـ)[٣]، وكان فقيهاً مجتهداً.

---

[١] السابق، ج١١، ص٦٢.

[٢] السابق.

[٣] السابق.

٤. محمد بن عبد الحسين بن معن البغدادي(ت:؟هـ)، قرأ عليه "الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقي" في الفقه للشهيد الثاني(ت:٩٦٥هـ)[١].

٥. محمد حسين بن مقصود علي الطالقاني(ت:؟هـ)، له منه إجازة على ظهر كتاب "مختلف الشيعة" للعلّامة الحلي(ت:٧٢٦هـ) بتاريخ ١٠٦٧هـ[٢].

٦. الأمير محمد مهدي بن الأمير أبو القاسم الأسفراييني(ت:؟)، قرأ عليه أكثر كتاب "مَن لا يحضره الفقيه" للشيخ الصدوق(ت:٣٨١هـ) فأجازه في آخره سنة ١٠٧٧هـ[٣].

آثاره العلميّة

نقل الميرزا حسين النوري الطبرسي عن بعض العلماء، أن للشيخ جعفر بن كمال الدين "تصانيف شتّى، وتعليقات لا تُحصى، في علمي التفسير والحديث وعلوم العربية وغيرها"[٤]. لم نقف منها إلّا على ما يلي:

---

[١] السابق.

[٢] السابق.

[٣] السيّد أحمد الحسيني: تراجم الرجال، ج١، ص٢٠٤.

[٤] الميرزا حسين النوري: خاتمة مستدرك الوسائل، ج٢، ص٧٣.

١. منظومة الكامل في الصناعة، تضمّنت مقدّمة وتنبيهات وفصل وثلاثة أبواب: الأول حول فضل القرآن، والثاني حول كونه محروسًا عن الزيادة والنقصان، والثالث حول تواتر القراءات السبع.

٢. اللّباب، وقد أرسله إلى تلميذه السيّد عليّ خان المدني[١].

٣. خطبة[٢].

٤. جواب سؤال[٣]، حول عصمة الأئمة(ع).

٥. أكل المسك[٤]، في الفقه.

٦. رسالة في الأَمَة إذا اشتريت من خصيّ هل تستبرأ أم لا[٥]، في الفقه.

٧. إجازة لمحمد حسين بن مقصود علي الطالقاني[٦].

---

[١] السابق.

[٢] الشيخ محمد آل مكباس: موسوعة شعراء البحرين، ج١، ص١٧٩.

[٣] مصطفى درايتي: فهرستواره دست نوشت ملي إيران(دنا)، ج٣، ص١٠٢٤.

[٤] السابق، ج٢، ص٩٦.

[٥] السابق، ج٢، ص١٥٩.

[٦] السابق، ج١، ص٢١٤.

الثناء عليه

أثنى العلماء وأصحاب التراجم والسير على الشيخ جعفر. ومن ذلك:

١. قال الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي(ت:١١٠٤هـ): "فاضل عالم صالح ماهر شاعر معاصر، رأيته بمكة"[١].

٢. قال السيّد عليّ خان المدني(١١٢٠هـ): "شيخي الأفضل، وأستاذي الأكمل، مجمع الفضائل والآداب، ومرجع الأفاضل في كل باب"[٢].

٣. قال العلّامة الشيخ سليمان الماحوزي(ت:١١٢١هـ): "الشيخ الفقيه الصالح العلّامة... وكان الشيخ سليمان بن عليّ بن سليمان تلميذه، وكان يصف علمه وفضله ومحاسن أخلاقه"[٣].

٤. قال المحدِّث الشيخ يوسف البحراني(ت:١١٨٦هـ): "كان علَمًا علّامة فقيهًا محدِّثًا نحويًا عروضيًا قارئًا"[٤].

---

[١] الشيخ محمّد الحرّ العاملي: أمل الآمل، ج٢، ص٥٣.

[٢] السيّد عليّ المدني: رحلة ابن معصوم أو سلوة الغريب، ص٦١.

[٣] الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي: فهرست علماء البحرين، ص١٢٣.

[٤] الشيخ يوسف البحراني: الكشكول، ج٢، ص١٠٥٠.

٥. قال الميرزا محمّد باقر الموسوي الخوانساري(ت:١٣١٣هـ): "كان منهلًا عذبًا للورّاد لم يرجع القاصد إليه إلّا بالمراد. ماهر في الحديث، والتفسير، والرجال، والقراءة، والعربية، وغير ذلك"[١].

٦. قال الشيخ عليّ بن حسن البلادي(١٣٤٠هـ): "الشيخ الإمام العلّامة الرباني... كان من العلماء الأعلام والفقهاء الأجلّاء الكرام... من كبار العلماء العاملين وأساطين الملّة والدين"[٢].

شعره

نصّ أصحاب السير والتراجم على أن الشيخ جعفر بن كمال الدين شاعر. ولكن لم يشيروا إلى ديوان شعري له؛ فربما لم ينظم القصائد الطوال، أو لم يعتنِ بجمع أشعاره. وقد ذكرت المصادر بعض قصاصات أشعاره. والتي منها:

١. نقل السيّد نعمة الله الجزائري في كتابه "شرح غوالي اللالئ" بعد أن سأل شيخه عن استكتاب تفسير "نور الثقلين"، فأجابه: "إن هذا التفسير مادام

[١] الميرزا محمّد باقر الخوانساري: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، ج٢، ص١٩١.

[٢] الشيخ عليّ البلادي: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص١٢٨-١٢٩.

مؤلفه في الحياة فلا تعادل قيمته فلسًا واحدًا، وإذا مات أوّل مَن يكتبه أنا، ثمّ أنشد:

تَرى الفتى يُنكِر فضلَ الفتى .. مادام حيًّا فإذا ما ذهبْ

لجّ به الحرصُ على نُكتةٍ .. يكتبُها عنه بماءِ الذهبْ"[1].

٢. قال السيّد عليّ خان المدني: "أخبرني شيخي...، قال اجتمعت بالسيّد المنوّه باسمه في البندر المذكور فأنشدني... وسألني أن أقول شيئًا يُناسب المقام، فقلت:

لك العتبى ومنك الصفحُ يُرجى .. إذا لم تَستبنْ منهم وَقارا

وإنْ هم قد جَنوا عمْدًا وجهلًا .. وما رَاعوا وما طلبوا اعتذارا

فإن البدرَ لا يُثنيه شيءٌ .. من العجما ضُباحًا أو جُؤارا

فطبْ نفسًا فكلّهم ذليلٌ .. لعزّتكَ اختيارًا واضطرارا"[2].

---

[1] الشيخ يوسف البحراني: الكشكول، ج٢، ص٨٧٩.

[2] السيّد عليّ المدني: رحلة ابن معصوم أو سلوة الغريب، ص٦١.

٣. وقال أيضًا: "وكان شيخنا الشيخ جعفر اجتمع بالإمام إسماعيل المذكور[إسماعيل بن القاسم(ت:١٠٨٧هـ)]، فأنشده الإمام قول... قال مولانا الشيخ فقلت مادحًا له لمّا رأيت من شغفه... وفيه لزوم ما لا يلزم:

نعمْ قــد وجــدناها فإنْ كـنتَ راغبًا .. فقـِرن أمير المؤمنين أبي الحسنْ

أليفُ الندى بحرُ الهدى كاشفُ الصدى .. ومِصقَعُ أربابِ البلاغةِ واللَّسنْ

وذاكَ الذي قد سِيطَ بالقلبِ حبُّه .. كما سِيطَ حبُّ النومِ بالعينِ والوسنْ"[١].

سِمات شخصيّته

تجلّت في الشيخ جعفر بن كمال الدين، وفق ما نُقل عنه من ممارسات علمية وعملية، العديد من سمات شخصيته المتميّزة. ومن بينها:

١. السمات الروحية: الارتباط بالله سبحانه بالتقدّس والتبتّل والإخلاص له، والزهد في الدنيا.

[١] السابق، ص٦٦-٦٧.

٢. السمات الأخلاقية: التحلّي بالفضائل الأخلاقية كالجود والعفّة وحسن الصحبة وكرم المخالقة.

٣. السمات العلمية: النباهة والمثابرة والجدّ والتسامح الفكري والإنصاف وأمانة النقل.

٤. السمات الحياتية/العملية: حسن تدبير الأمور والفهم الواقعي للحياة.

وإذا كانت هذه السمات بتلاوينها واضحة فيما ورد سابقًا، بما يغنينا عن الإعادة، فإن سمة "الفهم الواقعي للحياة" تحتاج إلى تمثيل واقعي من حياته.

ولقد نجد ذلك فيما أورده السيّد محسن الأمين(ت:١٣٧١هـ) تعقيبًا على الأبيات التي أنشأها الشيخ جعفر عند سؤال السيّد نعمة الله الجزائري عن استكتاب تفسير "نور الثقلين". حيث عقّب السيّد قائلًا:

"هذه مبالغة، فالكتب النفيسة تشتهر في حياة مؤلفيها كما هو مشاهد، والتي بخلافها تُهجر في حياتهم وبعد مماتهم. نعم، لاشكّ أن للحسد الذي تضطرم ناره في الحياة وتخبو نوعًا ما بعد الممات بعض التأثير في ذلك"[١].

[١] السيّد محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج٤، ص١٣٧.

ما قِيل في مدحه

ممّا قاله الشيخ عيسى بن صالح بن عصفور الدرازي(ت:١٠٨٨هـ) يمدح الشيخ جعفر بن كمال الدين يوم وفد عليه في الهند، فأناله جائزة سنيّة:

الهندُ بعد صلاةِ الليلِ في القدمِ .. يا ضيعةَ العمرِ بل يا زلّةَ القدمِ

.....

فقلت مَن ذا فقالت جعفرٌ فغدا .. يسوقُني الشوقُ للمستكمِلِ الشيمِ

حتى أنختُ بواديه الكريم فيا .. بُشرى لِما وفّقَ الرحمنُ في القسمِ

رأيتُ شخصًا كانَّ اللّهَ قلّده .. أعباءَ وحيٍ تلاه الروحُ بالحكمِ

فتًى إذا المرءُ عاداه الزمانُ دعا .. بجاهِه جاءَه من جملةِ الخدمِ

أينَ الأكابرُ والساداتُ من هجر .. شُمّ الأنوفِ سقاه المحل بالديمِ

أعطى الإلهَ يمينًا في خلائقه .. ألّا يقلّ ولا يلوي لها بفمِ

أمسى يميرُ عشارَ المُزن وابلُه .. ليضحك البحرُ والأشجارُ في الأجمِ

فكّت لأفواهها الأصدافُ إذ علمتْ .. بوبْلِه فغدت باللؤلؤ الرخمِ

مسّت يديْ حاتمٍ يمناه فافتخرت .. في صلبِ آدم بين الماء والأدمِ

لا غرو إنْ أخجل الأنواءَ نائلُه .. فالأرضُ لولا نكا جدواه لم يقمِ

شمسٌ بلا كسفٍ بدرٌ بلا كلفٍ .. بحرٌ بلا تلفٍ قد فاضَ بالنعمِ

.....[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على رسوله الكريم وآل بيته الطيبين الطاهرين.

[1] الشيخ يوسف البحراني: الكشكول، ج٢، ص١٠٤٨-١٠٥٠.

المصادر والمراجع

* **المخطوطات والكتب:**

١. آل مكباس، الشيخ محمد عيسى: المدارس العلمية في البحرين، مركز ابن ميثم البحراني للدراسات والبحوث، ط١/٢٠١٦م.

٢. _____: موسوعة شعراء البحرين، المؤلف، ط١/١٤١٨هـ.

٣. الأصبهاني، عبدالله أفندي: رياض العلماء وحياض الفضلاء، تح: السيّد أحمد الحسيني، قمّ: منشورات مكتبة المرعشي، ط/١٤٠٣هـ.

٤. الأمين، السيّد محسن: أعيان الشيعة، بيروت: دار المعارف للمطبوعات، ط/١٤٠٣هـ.

٥. البحراني، الشيخ جعفر بن كمال الدين: الكامل في الصناعة. (مخطوط مصوّر) تفضّل علينا به د.عيسى السيّد جواد الوداعي، فله وللوسيط جزيل الشكر وعظيم العرفان.

٦. البحراني(المحدِّث)، الشيخ يوسف: لؤلؤة البحرين في الإجازات لقرتي العين، تح: محمّد بحر العلوم، المنامة: مكتبة فخراوي، ط١/٢٠٠٨م.

٧. _____: الكشكول، تح: السيّد محمّد المعلّم، المكتبة الحيدرية، ط١/١٤٢٨هـ.

٨. البلادي، الشيخ عليّ: أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، إش: محمّد عليّ الطبسي، قمّ: مطبعة بهمن، ط/١٤٠٧هـ.

٩. الحسيني، السيّد أحمد: التراث العربي المخطوط في مكتبات إيران العامّة، قمّ: منشورات دليل ما، ط١/٢٠١٠م.

١٠. _____: تراجم الرجال، قمّ: دليل ما، ط١/١٤٢٢هـ.

١١. الخوانساري، الميرزا محمّد باقر: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، قمّ: مكتبة إسماعيليان، (د.ت).

١٢. درايتي، مصطفى: فهرستواره دست نوشت ملي إيران(دنا)، مشهد: مؤسسة فرهنكى بروهشي الجواد(ع)، (د.ت).

١٣. السبحاني، الشيخ جعفر: موسوعة طبقات الفقهاء، قمّ: مؤسسة الإمام الصادق(ع)، ط١/١٤٢٠هـ.

١٤. العاملي، الشيخ محمّد الحرّ: أمل الآمل، تح: أحمد الحسيني، بيروت: مؤسسة الوفاء، ط٢/١٩٨٣م.

١٥. الماحوزي(العلّامة)، الشيخ سليمان بن عبدالله: فهرست علماء البحرين، تح: فاضل الزاكي، المحقق، ط١/١٤٢١هـ.

١٦. المدني، السيّد عليّ خان: سلافة العصر في محاسن أهل العصر، تح: محمود خلف البادي، دمشق: دار كنان، ط١/٢٠٠٩م.

١٧. _____: الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية الشيعة، تح: محمّد جواد المحمودي، قمّ: مؤسّسة تراث الشيعة، ط١/١٤٣٨هـ.

١٨. _____: رحلة ابن معصوم أو سلوة الغريب، تح: شاكر هادي شكر، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط١/٢٠٠٦م.

١٩. مدن، يوسف: قرى البحرين الثلاثمائة والستون.. بين الحقيقة والوهم، بيروت: مركز أوال للدراسات والتوثيق، ط١/٢٠١٥م.

٢٠. النوري، الميرزا حسين: خاتمة مستدرك الوسائل، بيروت: مؤسسة أهل البيت(ع) لتحقيق التراث، ط١/٢٠٠٨م.
٢١. النويدري، د.سالم: أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين خلال ١٤ قرنًا، بيروت: مركز أوال للدراسات والتوثيق، ط٢/٢٠١٥م.
٢٢. الوداعي، د.عيسى السيّد جواد: الحركة العلمية في البحرين، بيروت: مركز أوال للدراسات والتوثيق، ط١/٢٠١٥م.

***المجلات العلمية والمواقع الإلكترونية:**

١. الصفار، محمّد طاهر: سلطنة كلكندة الشيعية.. سِفر أضاء في سماء الهند، على الإنترنت: https://annabaa.org/arabic/historic/9305، بتاريخ: ١٦/١٠/٢٠٢٠م.
٢. الموسى، السيّد عليّ بن باقر: السيّد ماجد البحراني.. السيرة والمسيرة، مجلة لؤلؤة البحرين، ع(٢)٢٠١٦م، ص٩–٣٩.